﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فُصّلت: 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الاستعاذةُ من شرِّ الشَّيطان ونَزْغِه تتميمٌ لما كان من صفات المؤمنين

بعد أن بيَّن المولى سبحانه ما يفعله رفقاءُ السّوء من جَذْب النّاس نحو المعاصي؛ انتقل إلى وصف حال أضدادهم الذين يوجِّهون النّاسَ نحو توحيد الله وطاعته، فكشف اللهُ عن آدابهم الرَّفيعة، وأوصافِهم الحميدة؛ إذ يتَّسمون بمقابلة السَّيِّئة بالحسنة، ويَلْجؤون إليه تعالى طالبين الحمايةَ من شرِّ الشَّيطان ونَزْغِه، ويستعينون به؛ ليَثْبُتوا على أحكام ربِّهم الشَّرعيَّة، عندما يحاول الشَّيطانُ صرْفَهم عن سبيل الله[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾: (نزغ) أصلٌ يدُلُّ على إفسادٍ بين اثنين، ونزَغَ بين القوم: أفسَد ذاتَ بينهم[2]، والنَّزْغُ: الكَلامُ الَّذي يُغْري بَيْنَ النّاسِ، ونَزَغَه: حَرَّكه أدنى حَرَكَةٍ، ونزَغَ الشَّيطانُ بينَهم ينزَغُ ويَنزِغُ نَزْغًا، أي: أفسد، وأغرى، ونَزْغُ الشَّيطانِ: وساوِسُه ونَخْسُه في القَلْبِ بما يُسَوِّلُ للإنسان من المعاصي[3]، والمُراد به هنا: وسْوَسَةُ الشَّيطان وكيدُه للإنسان، ويجوز أن يكونَ المُرادُ بالنَّزْغِ هنا: النّازِغُ - وهو الشَّيطانُ - وُصِفَ بالمصدر للمُبالغة[4].

2) ﴿فَٱسۡتَعِذۡ﴾: (عوذ) أصلٌ يدُلُّ على الالتِجاءِ إلى غَيْرِه والاعتِصام به، ثمَّ يُحْمَلُ عليه كلُّ شيءٍ لَصِقَ بشيءٍ، أو لازَمَه، قال

(1) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 24/ 228.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نزغ).
(3) ابن سيده، المُحكَم، وابن منظور، لسان العرب، والسمين، عمدة الحفّاظ: (نزغ).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 297.

الخليلُ: تقولُ أعوذُ باللّه؛ أي: ألجأُ إليه، عوذًا أو عياذًا، وذَكَرَ أيضًا أنَّهُم يَقولونَ: فُلانٌ عياذٌ لَكَ، أي: مَلجَأٌ[1]، وضدُّ العَوْذِ: اللَّوْذُ، وهو طَلَبُ الخَيرِ[2]، والمقصودُ بالعَوْذِ في الآية: اللَّجَأُ إلى ما يَعْصِمُ، ويَقي مِن أمْرٍ مُضِرٍّ، والمُراد به: طَلَبُ العَوْذ باللّه مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُرشِدُ اللّهُ سبحانه عبادَه إلى ما يَعصِمُهم مِن الشَّيطانِ، فيقولُ: وإنْ وجَدْتَ مِنَ الشَّيطانِ وسوَسةً في نَفْسِك - يا مُحمَّدُ - ليُفسِدَ بينَك وبينَ غَيرِك، فيُغريَكَ بعَداوتِه، والإساءةِ إليه والانتقامِ منه؛ فالتَجِئْ إلى اللّه سبحانه، واطلُبْ منه أن يَعصِمَك منه، ويَحفَظَك مِن كَيدِه وشَرِّه، فإنَّ اللّهَ تعالى الَّذي تَستعيذُ به مِن نَزْغِ الشَّيطانِ، هو السَّميعُ لكُلِّ قَولٍ، ومِن ذلك استِعاذتُك به؛ العَليمُ بكُلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك عِلمُه بما يُلقيه الشَّيطانُ في نَفْسِك، فلا يَخفَى عليه كَيدُ عَدوِّك، وهو يَتولَّى أمْرَه وجَزاءَه، فكلَّما ازداد العَبدُ في تبَرّيه مِن حَولِه وقوَّتِه، وأخلَصَ بينَ يَدَيِ اللّهِ بتضَرُّعِه واستِعانتِه واستِعاذتِه؛ زاد اللّهُ في حِفظِه، ودَفَع الشَّيطانَ عنه[4].

لا يتخلَّصُ العبدُ مِن نَزَغاتِ الشَّيطانِ إلّا بصِدقِ الاستِعانةِ وصِدقِ الاستِعاذةِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة التَّعبير بالواو في قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ معطوفٌ على جملة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾، فبعدَ أن أرشدَنا تعالى إلى ما يُعين على تحصيل هذا الخُلُق العظيم من دفع السَّيِّئة بالحسنة، وبيَّنَ فائدةَ العملِ به في قوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ

نَزَغاتُ الشَّيطانِ العقبةُ الكبرى أمامَ فضيلةِ دَفْعِ السَّيِّئة بالحُسنى

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (عوذ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (عوذ).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 275.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 435، والقشيريّ، لطائف الإشارات: 3/ 332، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 181، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 750.

﴿وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾؛ جاء ليَصرفَ العنانَ نحوَ التَّحذيرِ من العوائق التي قد تعترض هذه الفضيلةَ، والَّتي تتعدَّد، وتتكاثر في صورة نزغات الشَّيطان[1]، التي تزرع في النُّفوس أحقادًا، وتُفسِد ما تستشرفه القلوبُ من معاملة حسنة.

سِرُّ التَّعبير بـ(إمّا) دونَ غيرها:

فَـرْضُ المُحالِ في نَـزْغِ الشَّيطانِ النَّبيَّ ﷺ رفعًا لمقامه

(إمّا) في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ مُركَّبةٌ من (إن) الشَّرطيَّة، و(ما) الصِّلةِ الدّالَّةِ على التَّوكيد[2]؛ لربطِ الشَّرط بجوابه لا لتحقيق الشَّرط؛ لذلك كُتبت مُدمجةً على هذه الصّورة غيرَ مفصولةٍ، وفي إدغام (إن) الشَّرطيَّة في (ما) دلالةٌ على توكيد الشَّرط ليُؤكِّد ما بعدها، والمعنى: أنَّ الشَّيطان إنِ اجتهد بشدَّة وقوَّة في محاولة النَّزغ والإغواء – وهو مصدر هذه الوسوسة[3] – فإنَّما هو اختبار لطبيعة النَّفس البشريَّة وصمودها أمام ذلك التَّحدّي، وجاء الشَّرطُ مع (إن) المُؤذِنة بعدم الجزم بوقوع الشَّرط؛ ترفيعًا لقدر النَّبيِّ ﷺ، فنَزْغُ الشَّيطانِ للنَّبيِّ ﷺ لا يُحتمل وقوعُه إلّا فَرَضًا، كفرض المُحال[4]، فالحقُّ سبحانه يرفع شأن نبيِّه عن أن يقع في قلبه أيُّ نَزْغٍ أو وسْوَسةٍ، وقدِ اختيرت أداةُ الشَّكِّ (إن)؛ للإشارة إلى طبيعة الإنسان بوصفه مخلوقًا ضعيفًا في مواجهة نَزَغات الشَّيطان، مع توضيح أنَّ الشَّيطان رغمَ علمِه بعصمة النَّبيِّ ﷺ، يظلُّ متوهِّمًا قدرتَه على التَّأثير فيه، مُتعلِّقًا بآماله الواهية، ولذا جاء هذا التَّعبير مؤكَّدًا؛ ليبرزَ عظمةَ مقام النَّبيِّ ﷺ، وليُظهِر كيف أنَّ نزْغَ الشَّيطان له لا يعدو كونَه محلًّا للإنكار والرَّفض المُطلق[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 296.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 165.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/ 3044.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 229، 4/ 297.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 189.

سرُّ التَّعبير بالنَّزغ دون المَسِّ في قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾:

النَّزْغُ أشدُّ وأعمقُ من المَسِّ؛ لأنَّ المسَّ يدلُّ على الوسوسة أو مَبْدَئها

استُعمِل فعلُ (النَّزغ) في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ الذي يَحمل في معناه النَّخسَ والغَرْزَ، وذلك بأن تُمسكَ بشيء، وتضعَ طرفَه في جسد الآخر[1]، وهو كذلك إدخالُ شيءٍ في شيء بقَصْد إفساده، وهو معنًى يقترب من (الفسخ) بالسّين، الذي يُشير إلى الغَرْز بإبرة، أو ما شابهها للوَشْم[2]، ولم يُستعمل (المَسُّ) بدلًا منه؛ لأنَّ المَسَّ يدلُّ على الوسوسة أو بدايتِها[3]، في حين أنَّ النَّزغ يُعبِّر عن تأثيرٍ أشدَّ وأعمقَ من المَسِّ، وإن كانت جميعُ هذه المعاني تأتي في إطار المجاز، ولَمّا كان الخطاب موجَّهًا إلى الرَّسول ﷺ على رأي كثير من المُفسِّرين[4]؛ فقد عُبِّر بالنَّزغ المفترَض بدلالة (إن) الدّالَّة على الشَّكِّ وانتفاءِ الوقوع لعصمته ﷺ، ولم يُعبَّر بالمَسِّ الواقع فعلًا، فقد ثبت أنَّ المُتَّقين المؤمنين قد يَمَسُّهم طائفٌ من الشَّيطان[5] بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: 201].

دلالةُ التَّعبير بالمضارع ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾:

محاولاتُ الشَّيطان الدَّؤوبة في النَّزغ، تتطلَّب الالتجاءَ الدّائمَ إلى الحقِّ سبحانه

التَّعبيرُ بالنَّزغ مضارعًا في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾، يُفيض دلالةً على التَّجدُّد والاستمرار، مُشيرًا إلى أنَّ نزغات الشَّيطانِ ليست حادثةً عابرةً، بل هي محاولاتٌ دؤوبة ومتكرِّرة، ففي أيِّ لحظةٍ شعرتَ بشيء من تلك النَّزغات، سواء أكانت وساوسَ خفيَّةً، أم تزيينًا للشَّرِّ، أم تثبيطًا عن الخير، أو حتّى استجابةً عارضةً لبعض

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 8/ 4535.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 229.
(3) رضا، تفسير المنار: 7/ 427.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/ 436، والخازن، لباب التّأويل: 2/ 285، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/ 723، والشّربينيّ، السّراج المنير: 1/ 548، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 10/ 298.
(5) رضا، تفسير المنار: 7/ 427.

الإغواءات[1]، فإنَّ المُلتجأ هو الله؛ إذ هو وحدَه القادرُ على صَرْف الشَّرِّ، وحمايةِ النَّفسِ من آثاره.

بلاغةُ الاستعارة في قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾:

تحذيرٌ من اعتراء الغضب، وتنفيرٌ من الشَّيطان

يجوز أن يُقصَد بنزغ الشَّيطان اعتراءُ الغضبِ على سبيل الاستعارة، كما ورد عن الصِّدّيق ﷺ قولُه: "وإنَّ لي شَيْطانًا يَعْتَريني"[2]، وفي ذلك إيغالٌ في التَّنفير من الشَّيطان، وتحذيرٌ بالغٌ منَ الانسياق وراءَ تأثيراتِه، والعملِ بمقتضى وساوسِه[3]، ممّا يُبيِّن جَسامةَ الخطرِ الكامنِ في لحظات الغضب والانفعال.

عمقُ التَّأثير الخفيِّ، وتجسيدُ الوسوسة في أبهى صور البيان القرآنيِّ

وإطلاقُ النَّزغِ في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ على وسوسة الشَّيطان هو من أرقى صورِ الاستعارة البيانيَّة؛ إذ شُبِّه حدوثُ الوسوسةِ الشَّيطانيَّة في النَّفس بنزغ الإبرة، أو نحوها في الجسد، بجامع التَّأثير الخفيِّ الذي لا يُرى، ولكن يُشعر به، وقد أضفى القرآنُ الكريم على هذه الاستعارة رُقيًّا وعُمقًا، حتّى شاعت بعد نزولِه، وأصبحت كأنَّها حقيقةٌ في وصف أثَرِ الوَسْوَسة وأبعادِها[4].

سرُّ تأكيدِ الفعل ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ بنون التَّوكيد:

تصويرُ عظَمةِ تأثير النَّزغ الشَّيطانيِّ

جاءت النّونُ في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ للتَّأكيد البليغ[5]؛ إذ تُضفي على الفعل معنى القوَّةِ والعظَمة، فيُصبح المقصودُ: أنَّ الشَّيطان ينخسكَ نخسًا بالغًا عظيمًا[6]، يتجاوز النَّخسَ العابرَ إلى أثرٍ عميق ومُؤثِّر.

دلالةُ كافِ الخطاب في ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾:

خطابُ الخصوصيَّة ورسالةُ العموم توجيهٌ إلهيٌّ له ﷺ وللأُمَّة

الكاف في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ مُرادٌ به النَّبيُّ ﷺ ،

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 750.
(2) أخرجه عبد الرّزاق في مصنفه، برقم: (21776).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/ 308.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 229، 230.
(5) النّحّاس، إعراب القرآن: 4/ 43.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/ 204.

والمعنى: "وإمّا ينزغنَّك، ويَعرِضَنَّ لك يا أكملَ الرُّسل"[1]، ومع خصوصيَّة الخطاب له، فإنَّه يحمل في طيّاته توجيهًا عامًّا لكلِّ المكلَّفين؛ إذ إنَّ الاستعاذة باللّه تعالى - بالكيفيَّة التي أُشيرَ إليها في هذا السّياق العظيم - تُعدُّ لُطفًا إلهيًّا عظيمًا، يَحجبُ تأثيرَ وساوسِ الشَّيطان[2]، ويُحصِّنُ النَّفسَ من أن تنساق وراءَ نَزَغاته؛ لتبقى صافيةً مستقيمةً على نهج الحقِّ.

دلالةُ تقديم المفعول (كاف الخطاب) على الفاعل ﴿نَزۡغٞ﴾:

قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ فعلٌ مضارع، ومفعولُه الكاف، وفاعلُه متأخِّرٌ عنه، وهو ﴿نَزۡغٞ﴾[3]، وفي تقديم المفعول في الجملة لفتُ الأنظارِ إلى الاهتمام البالغ بمَنْ يقع عليه النَّزغُ، ويُظهر التَّوجيهَ الإلهيَّ للنَّبيِّ ﷺ في مواجهة نزغات الشَّيطان.

الاهتمامُ بالتَّوجيه الإلهيِّ للنَّبيِّ ﷺ في مواجهة نزغ الشَّيطان

دلالةُ تقديم الجارِّ والمجرور ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾:

تقدُّمُ الجارِّ والمجرور ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ الواقع حالًا مُقدَّمًا[4]؛ لتوكيد أنَّ النَّزغ لا يكون إلّا من الشَّيطان وحدَه؛ ليَحُثَّ على مقاومته والاستعانةِ بكلِّ وسيلةٍ لدَفْع شَرِّه الدّائم الذي يُفسِد ما بين النّاس[5].

النَّزغُ مصدرُه الشَّيطانُ لا غيرُه؛ حثًّا على التَّفرُّغ لمُقاومته

دلالةُ التَّعبير بـ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ بيانيَّةٌ؛ إذِ انتُزِعَ من الشَّيطان كيانٌ آخرُ يُسمّى نازغًا، أو جُرِّدَ منه وصْفُه الخاصُّ الذي يتمثَّل في تسويله، فصار ذلك الوصفُ ذاتُه نازغًا[6]، وهو تصويرٌ يبيِّن دِقَّةَ الإشارةِ إلى مصدر النَّزغ، وتفصيلُ ماهيَّتِه بما يُثير في

نَزغُ الشَّيطانِ في تصويرٍ بيانيٍّ يكشفُ مصدرَه، ويُحذِّرُ من أثره

(1) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 279.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/ 436.
(3) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم: 3/ 694.
(4) الإيجيّ، جامع البيان: 4/ 46.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/ 3044.
(6) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 609.

النَّفس إحساسًا بالتَّحذير والتَّبصُّر، ويجوز في ﴿مِنَ﴾ أن تكون لابتداء الغاية المكانيَّة[1]؛ لتشيرَ إلى أنَّ المعنى: إمّا ينزغنَّك نَزْغٌ صادرٌ من جهة الشَّيطان، يصرفُكَ عن التَّمسُّك بما أوصيتَ به من دَفْعِ السَّيِّئة بالحسنى، ويغريك بالسَّير في طريق مخالف لها.

سرُّ التَّعبير بالشَّيطان دون إبليس:

النَّزغُ هو وسوسةُ شياطينِ الإنس والجِنِّ وسواهم

استُعمل لفظ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، ولم يُستعمَل لفظ (إبليس)؛ لأنَّ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ اسمُ جنس، ومِن ثَمَّ فـ"كلُّ عاتٍ مُتمرِّدٍ من الجِنِّ والإنس والدَّوابِّ شيطانٌ"[2]، والنَّزغُ قد يأتي من وسْوَسة أيِّ شيطانٍ، جِنًّا كان أو إنسًا، أو غيرَ ذلك، فاللَّفظُ اسمُ جنسٍ يَصدقُ في الواحد والجمع، والمُراد به هنا: المُتعدِّد، وليس مُقتصرًا على إبليس الذي هو اسمُ عَلَمٍ خاصٍّ، إن ظهر في تسميته الإبلاسُ من رحمة الله، فلم يظهر في تسميته صفةُ الشَّيطَنة.

بلاغةُ إسنادِ ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ إلى المصدر ﴿نَزۡغٌ﴾ دونَ الشَّيطان:

بلاغةُ المجازِ العقليِّ في إسناد النَّزغ، وجَعْلِه بمنزلة الفاعل مبالغةً

أُسْنِد النَّزغُ في قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ إلى المصدر ﴿نَزۡغٌ﴾ بدلًا من الشَّيطان نفسه، كما ورد في بعض المواضع؛ ليجعل النَّزغَ ذاتَه، وكأنَّه فاعلٌ للمبالغة في صورة من المجاز العقليِّ، كتعبيرهم: (جدَّ جدُّه)، فإن حاول الشَّيطانُ صَرْفَكَ عمّا أوصيتَ به من الدَّفع بالتي هي أحسن؛ فالجأ إلى الله، واستعذْ به من شرِّه، وامضِ في طريقك بثبات، مُتجاوزًا تأثيرَه، دونَ أن تُطيعَه، أو تلتفتَ إلى وساوسه[3].

بلاغةُ جناسِ الاشتقاق في قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ ﴿نَزۡغٌ﴾:

تناغمٌ لغويٌّ يُعمِّق الدَّلالة، ويُحذِّرُ من تأثير وساوسِ الشَّيطان

استُعمل الجَذْرُ اللُّغويُّ ﴿نَزۡغٌ﴾ في الفعل والفاعل في قوله تعالى: ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ﴾، وهو ما يُدعى بجِناس الاشتقاق، وهو

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 17/ 165، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 297.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 1/ 90.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 200، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 297.

من فنون البديع، "فإنَّك لا تستحْسِن تجانسَ اللَّفظتَين إلّا إذا كان وقْعُ معنَييهما من العقل موقعًا حميدًا"[1]، وفيه تكرارٌ يُعزِّز المعنى، ويخلقُ تناغمًا في الصّياغة، ممّا يُعمِّق الدَّلالة على تأثير النَّزغ المتكرِّر من الشَّيطان، ويُكْسِب الجملةَ مسحةً تأكيديَّةً، ويُضيف للآية إيقاعًا لغويًّا جميلًا.

دلالةُ المجاز في فعل النَّزغ:

النَّزغُ هنا لا يُقصَد به المعنى الحرفيُّ الذي يُتَصَوَّر فيه الشَّيطانُ ينخس الإنسانَ بِعَصًا أو ما شابه، بل هو واردٌ على سبيل المجاز، فالمعنى المقصود هنا: هو أنَّ الشَّيطان يَستخفُّ الإنسانَ، ويُؤثِّرُ فيه بخِفَّةٍ وعَجَلَةٍ، فيدفعُه إلى العَجَلة والغضب، ويتسلَّل إلى نفسه بإفسادها وتحميله على غيره[2]، وبذلك يتبيَّن أنَّ للنَّزغ في اللُّغة عدَّةَ معانٍ مجازيَّة، أحدها: الغضب، والثّاني: الوَسْوَسة وحديثُ النَّفس، والثّالث: النَّخْس، والرّابع: الفتنة، والخامس: الهمزات[3].

بين الإغواءِ والعجلةِ في تأثيراتِ الشَّيطان على النَّفس الإنسانيَّة

فائدة مجيء النَّزغِ مُنكَّرًا:

لمجيء النَّزغِ منكَّرًا في الجملة فائدةٌ، وهو أنَّ أصغر حركةٍ من الشَّيطان يمكن أن تصيبَكَ، فتكون الوسوسةُ أدنى ما يمكن أن يعرضَ لك من تأثيراته[4]، فيظهر كيف أنَّ أقلَّ نزغٍ من الشَّيطان يمكن أن يزعزعَ النَّفسَ، ويُثيرَ الشُّكوك، فعليك عندئذٍ الالتجاء إلى المولى سبحانه.

إن أصابك أدنى نزغٍ؛ فالتجئ إلى المولى سبحانه

سرُّ التَّعبير بالفاء في قوله: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾:

مجيءُ الفاءِ مع فعل الاستعاذة بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾؛ للدَّلالة على المباشرة والتَّعقيب[5]، كأنَّما هي دعوةٌ حثيثة للمسارعة

مبادرةُ الاستعاذةِ هي دَرْبُ الوقايةِ من نَزَغات الشَّيطان وآفاتِ النَّفس

(1) الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ص: 16.
(2) معمر بن المثنى، مجاز القرآن: 1/ 236.
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 183.
(4) الزّجّاج، معاني القرآن: 2/ 396.
(5) الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 24/ 165.

إلى الاستعاذة بالله عند أوَّل بادرة نزغ، فما إن يطرأ هاجسٌ على القلب إلّا وجَبَ أن يبادر المؤمن بتوجيه قلبِه إلى المولى سبحانه؛ ليقطعَ الطَّريقَ على تلك الوساوس التي إن لم تُقاوَم في مَهْدِها؛ تتحوَّل إلى فِكْرة، ثمَّ عزيمةٍ ففِعْلٍ، وإذا لم يتداركْها بسُرعة؛ تبدأ الزَّلَّةُ، ثمَّ تزداد سوءًا، وفي النِّهاية قد يفضي الاستمرارُ في هذا التَّهاونِ إلى الفِسْق، ومع مرور الوقت يُصبِحُ مُعرَّضًا لخطر شتى الآفاتِ التي تُؤثِّر على قلبه وعقله[1].

سرُّ إيثارِ التَّعبير بقوله: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ دون (استعن):

الاعتصام الكاملُ والتَّوكُّلُ الحقيقيُّ في مواجهة شرِّ الشَّيطان

وُظِّفَ فعلُ الاستعاذةِ دونَ الاستعانة في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾؛ ليحملَ معنًى أسمى؛ إذ يُفهَم من الاستعاذة الاعتصامُ بالله واللُّجوءُ إليه حمايةً من شرِّ الشَّيطان[2]، في حين أنَّ الاستعانة لا توازي هذا المعنى، بل تتوجَّهُ نحوَ طلبِ العَونِ فقط، بينما في الاستعاذة تكمُنُ القوَّةُ الحقيقيَّة في التَّوكُّل، والاحتماءُ الكاملُ بالله وحدَه.

فائدةُ تعليم الاستعاذة عند نزغ الشَّيطان:

تجديدُ العصمةِ، وصقلِ النَّفس، والحمايةِ من وساوس الشَّيطان

تكمن فائدةُ الاستعاذةِ في تجديد عصمة النَّبيِّ ﷺ ؛ إذ تكون الاستعاذةُ بالله من الشَّيطان بمنزلة استمدادٍ للعِصْمة، وصقلٍ للنَّفس من أيِّ كَدَرٍ قد يلامسُها؛ إذ تحصِّنُ النَّفسَ، وتُبقيها في مأمنٍ من التَّأثيرات السَّلبيَّة التي قد تطرأ عليها، وإنَّ هذا الاتِّصالَ المباشرَ بين النَّبيِّ ﷺ وربِّه يحمل سرًّا عميقًا؛ إذ من خلاله تظلُّ نفسُ النَّبيِّ ﷺ طاهرةً بعيدةً عن أيِّ تلوُّثٍ، ويشارك في هذا الفضلِ المؤمنون الصّالحون الذين يسيرون على خطاه[3].

معنى فعل الاستعاذة:

معنى فعلِ الاستعاذة يكمن في مباشرة الأسباب التي بها يُدْفَع

(1) القشيريّ، لطائف الإشارات: 3/ 332.
(2) الحداد، تفسير الحداد: 5/ 432.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 296.

نزغُ الشَّيطانِ ووساوسُه، فهي أمرٌ بالإقبال على ما يُهيّئ الإنسانَ لدَفْعِها، لا مجرَّدَ التَّلفُّظِ بها دونَ عملٍ، مثلُها في ذلك مِثْلُ الاستغفار، فهو ليس قولًا باللِّسان فحسب، بل دعوةٌ لمباشرة الأعمال والأسبابِ التي تقتضي حصولَ المغفرةِ، فكذلك الاستعاذةُ[1].

مباشرةُ الأسباب التي بها يُدْفَعُ نـزغُ الشَّيطانِ ووساوسُهُ

معنى السّين والتّاءِ في فعل الاستعاذة:

من معاني السّين والتّاء في صيغة (استَفعِل) الدَّلالةُ على السُّؤال والطَّلب[2]، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: اطلُب مِنَ المَلِك الأعلى أن يُجيرَكَ، وتوجَّه إليه سائلًا الدُّخولَ في عصمته وحمايته، وجاء الأمرُ بهذه الصّيغة ليحملَ معنى المبادرةِ العاجلة إلى الاحتماء بالله تعالى، عند تعرُّض الإنسان لنَزْغِه؛ فليس لأحدٍ القدرةُ على إعاذَتِكَ من شرِّ الشَّيطان سوى اللهِ سبحانه[3].

اسْتَجِر بالمَلِكِ الأعلى، واطلب منه الدُّخولَ في حمايته من شرِّ الشَّيطان

دلالةُ التَّعبير بالباء في قوله: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ دالَّةٌ على الاستعانة، فجاء الأمرُ الإلهيُّ بدفع وسوسةِ الشَّيطان بالالتجاء إليه سبحانه، والعَوْذُ بالله، يعني: اللُّجوءَ إليه بالدُّعاء؛ طلبًا للعصمة، أو استحضارًا لما حدَّده سبحانه من حدود الشَّريعة[4]، ففيه استمدادٌ للقوَّة والحماية من الله وحدَه؛ إذ إنَّ الاستعانة به تجمعُ بين الدُّعاء والعملِ بما رسمه من منهج يُحصِّن النَّفسَ؛ ليظلَّ العبدُ في مأمن من نزغات الشَّيطان وكيده، واستُعمِل اسمُ الجلالةِ الدّالِّ على الذّات الإلهيَّة؛ لأنَّه يحمل في طيّاته دلالاتِ العَظَمَة والجلال والكمال المُطلق، ويؤكِّد أنَّه لا وليَّ ولا ناصر إلّا الله سبحانه[5]، كما أنَّه يعكس الحاجةَ

الاستعانةُ بالله والالتجاءُ إليه بالدُّعاء

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 82، 83.
(2) السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 47.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 190.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 230.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/ 204.

إلى القوَّة القاهرة والعِزَّة المطلقة، والحمايةِ الكاملة التي تتطلَّبها مواجهةُ وساوسِ الشَّيطان وكَيدِه.

دلالةُ وُرودِ فعلِ الاستعاذة بصيغة الأمر:

أورد فعلُ الاستعاذةِ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ مَزيدًا بصيغة الأمر؛ ليُضفيَ على الموقف رهبةً، ويُضخِّمَ من شأنه، مُشيرًا إلى أنَّ النَّزغ الشَّيطانيَّ يُعدُّ من الآفات العظيمة التي لا سبيل إلى النَّجاة من أذاها إلّا باللُّجوء إلى حِرز عصمة الله تعالى، حيثُ الأمانُ المُطلق، والحمايةُ التّامَّة[1]، كما أنَّ استعمال هذه الصّيغة تأكيدٌ لوعد الله، وضمانةٌ بأنَّ مَنْ يستعيذ به؛ يجده مَلاذًا وحِصنًا منيعًا؛ إذ إنَّ الأمر هنا يَحمِل في طيّاته طُمأنينةَ الوعدِ بالاستجابة، والخطابُ موجَّهٌ إلى النَّبيِّ ﷺ[2]؛ ليكون قدوةً للمؤمنين في لجوئهم إلى الحقِّ سبحانه؛ طلبًا للحماية من كيد الشَّيطان.

النَّزغُ الشَّيطانيُّ من الغوائل الصَّعبة، فلا يُتخلَّص من مضرَّتها إلّا بالالتجاء إلى الله

سِرُّ فصلِ جملة: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

فصلَ النَّظمُ الكريم جملةَ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ عمّا سبقها؛ لأنَّها جاءت تعليلًا للأمر بالاستعاذة، فقد أمر باللُّجوء إليه سبحانه؛ لأنَّه السَّميعُ لكلِّ ما يُسْمَع، العليمُ بكلِّ ما يُعْلَم[3]؛ إيماءً إلى جلال صفات الله، وكمالِ إحاطته، فيطْمَئنُّ المستعيذُ بأنَّه في كنف مَن يسمع دعاءَه، ويعلم ما في نفسه.

أمرناكَ بالاستعاذة بالله؛ لأنَّه يسمع دعاءَكَ، ويعلمُ ما في نفسك

دلالةُ التَّأكيد بـ(إنَّ) في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

(إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ لإفادة التَّوكيد[4]؛ إذ أكَّدَت صفتَي (السَّمع) و(العِلْم) لله تعالى بما لا يَدَع مجالًا للشَّكِّ، فهو السَّميعُ لكلِّ مسموع، يسمع استعاذتَكَ ودُعاءَكَ، وهو

توكيدُ صفتَي السَّمعِ والعِلْمِ جاء تطمينًا للرَّسول وللمؤمنين

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/ 308.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 296.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 592.
(4) مجموعة مؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 4/ 2118.

العليمُ بكلِّ معلومٍ، يعلم نزغاتِ الشَّيطانِ ووساوسَه، وهو القادر على ردِّ كيدِه وتوهينِ أمره، وإعلاءِ نَصْرِ مَن يلجأ إليه مستعينًا بحِماه[1].

دلالةُ ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾:

﴿هُوَ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ضميرُ فصلٍ، وذِكْره يُضفي مزيدًا من توكيدِ النِّسبة واختصاصها[2]، ويحمل دلالةَ القَصْرِ، فيُفْهَمُ منه تخصيصُ السَّمعِ والعِلْم الكاملَيْن به سبحانه وحده[3]، فهو المُتفرِّد بهما في كمالهما وإحاطتِهما دون شريكٍ أو نظيرٍ، وضميرُ الفصل في الآية واردٌ لتقوية الحُكم وتوكيده، حُكمًا كنائيًّا يُشير إلى ما يلزم وصفُ السَّميعِ العليم، وهو قدرته سبحانه على المؤاخذة الدَّقيقة لِمَن يصدر عنهم أقوالٌ وأفعالٌ تؤذي النَّبيَّ ﷺ ، أو ممَّن يَكيدون له، وهم الذين أُمِرَ ﷺ أن يدفع سيِّئاتهم بالحُسنى[4].

توكيدُ المعنى وسُموُّ الدَّلالةِ في السَّمع والعِلْم الإلَهيَّيْن

سرُّ اختيارِ وصْفَي ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ دونَ غيرِهما:

اختار النَّظمُ الكريم وصفَي ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ دونَ سواهما لما في هذَيْن الوصفَيْن من جلال يُناسب مقامَ العبدِ في تضرُّعه، ولسانُ حالِه يقول: (يا مَن أنتَ السَّميعُ لكلِّ ما يُسْمَع، والعليمُ بكلِّ خفيٍّ، أنتَ تسمع وسوسةَ الشَّيطانِ، وتعلمُ غرضَه الخبيثَ في تلويث القلوب، وأنتَ القادر على دَفْعِ شرِّهِ عنّي، فبفضلك ورحمتك اجعلني في عصمتك، وادفع عنّي كيدَه)؛ لذا كان ذِكْرُ هذَيْن الوصفَيْن أبلغَ وأولى في هذا المقام من أيِّ ذِكْرٍ آخَر[5]؛ لأنَّه يتناسب مع الحالة التي يمرُّ بها العبدُ من خوف وافتقار.

تعبيرٌ عن التَّضرُّع والتماسِ العونِ من القادر الذي يعلم كلَّ شيء ويسمعُ كلَّ همسٍ

واختيارُ هذَيْن الوصفَيْن ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ ليُبيِّن أنَّ الكلام

تأكيدُ حضورِ المعنى في القلب مع اللَّفظ في الاستعاذة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 190، 191.
(2) ابن القيّم، التّفسير القيّم، ص: 685.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 190.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 297.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 1/ 71.

اللِّسانيَّ وحدَه بلا حضور المعارفِ الحقيقيَّةِ في القلب لا يعود عليه بفائدةٍ تُذْكَر، وكأنَّ الحقَّ ﷻ يقول: اذكر لفظَ الاستعاذةِ بلسانك، فإنّي سميعٌ لما تقول، ولكن أحضِرْ معناها في ضميرك، فإنّي عليمٌ بما يختلج في نفسك[1].

رعايةُ اللهِ للنَّبيِّ ﷺ في السَّمع والعِلْم لمواجهة كيدِ الشَّيطان

واختيارُ وصْفَي: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ النَّبيَّ ﷺ في رعاية الله وعنايته الخاصَّة، فهو يعلم ما يُبيِّتُ الشَّيطانُ من كيدٍ وعداوة له، فكان ذلك كنايةً عن دفاع الله عن رسوله، كما قال في قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطّور: 48][2].

دلالةُ التَّعريف في قوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

تكرارُ التَّوصيفِ الإلـهـيِّ في السَّمع والعِلْم اهتمامًا وتوكيدًا

مجيءُ وصفَي: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ معرفتَين؛ ليُفيدا التَّأكيدَ التّامَّ الذي اقتضاه الموقفُ؛ إذ يأتي الأمرُ بالاستعاذة بعد تكليف النَّفس بأشقِّ ما يمكن أن تواجهه من مقابلة إساءة المسيء بالإحسان إليه، وهو أمرٌ لا يقدر عليه إلّا الصّابرون المحظوظون، بينما يُثير الشَّيطان في قلب العبد أنَّه من العجز والذُّلِّ، فيدعوه إلى الانتقام والعداوة، فكان المقامُ هنا مقامَ تأكيدٍ قويٍّ، وتحريضٍ عظيم على التَّمسُّك بالصَّبر، والرُّجوعِ إليه سبحانه[3]، كما أنَّ هذَيْن الوصفَين هما تكرارٌ لما ورد في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف: 200]، والنَّكرةُ إذا تكرَّرت؛ تعرَّفت، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمّل: 15 - 16][4].

دلالةُ إتباعِ صفةِ السَّمع بصفة العِلْم:

القولُ اللِّسانيُّ بدون المعارف القلبيَّة عديمُ الفائدة والأثر

جاءت صفةُ (العِلْم) تاليةً لصفة (السَّمع) في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ لتكتملَ الدَّلالةُ الإلهيَّة الشّاملة؛ إذ إنَّ السَّمعَ وحدَه يَرْصُد

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/ 365.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 231.
(3) ابن القيّم، تفسير القرآن الكريم، ص: 685.
(4) الكرمانيّ، غرائب التّفسير: 1/ 431.

القولَ اللِّسانيَّ، ولكنَّ العِلْمَ يتوغَّل إلى أعماق القلوب، فيدرك ما تُضمرُهُ النُّفوس، وما تنطوي عليه من معارفَ ونيّاتٍ، فالقولُ المُجرَّد من المعارف القلبيَّة الصّادقةِ يظلُّ خاويًا من الفائدة والأثر[1].

العليمُ بعد السَّميع في إحاطة إلهيَّة بسرائر الوسوسة ومكنونات النُّفوس

فإيرادُ صفةِ العِلْم بعد السَّمع؛ لتنسجم مع طبيعة الوسوسة، فهي من الأمور الخفيَّة التي تندسُّ في مكنونات النَّفس، ولا تُدرَكُ بالأصوات المسموعة وحدَها، فالوَسْوَسة ممّا يُعْلَم[2]، فبها حاجة إلى العلم الشّامل الذي يدرك المقاصدَ والنّيّات التي تخفيها القلوب، ولَمّا كانت الاستعاذةُ تجمع بين القول اللِّسانيِّ والتَّضرُّع القلبيِّ[3]؛ جاء ذكر ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾؛ ليحفظَ ما يلفِظُ به اللِّسانُ، و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ليحيطَ بما يختلج في أعماق القلوب.

بلاغةُ فاصلة الآية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

الله تعالى سميعٌ لكلامك عليمٌ بمرامك

تنبضُ فاصلة الآية: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ببلاغة راقية، فإنَّه (سَميعٌ) لكلامك، (عَليمٌ) بمقصودك ومرامك، في كناية مُدهشة عن يقين الاستجابة، وشمولِ العناية الإلهيَّة[4].

❁ المُتَشابهُ اللَّفْظيُّ:

دلالةُ الاتِّفاق والاختلاف مع الآية 200 من سورة الأعراف:

سياق آية (فُصّلت) يتطلَّب التَّوكيد؛ بينما سياق آية (الأعراف) لا يتطلَّب ذلك

في آية الأعراف: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: 200] ذَكَر وصفَي السَّميع والعليم نكرتَيْن، أمّا في آية (فُصّلت)؛ فعرَّفَهما مع زيادة ضمير الفصل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، فيُسأل عن الفَرْق في الموضعَين؟.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/ 436.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/ 205.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/ 308.
(4) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 4/ 215.

والجواب عن ذلك: أنَّ في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ تأكيدٌ بليغ، يستكمل المعنى، ويُضفي عُمقًا على الاستعاذة، فالآية في هذه السّورة جاءت لتتَّصل بما قبلها من تأكيدٍ، على أنَّ هذه الاستعاذة لا يُلقّاها إلّا الصّابرون، وما يلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم؛ لذلك كان التَّوكيد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ غايةً في القوَّة؛ إذ أُضيف ضميرُ الفصل ﴿هُوَ﴾ لتعظيم المعنى في إبراز قدرة الله المُطلقة على السَّمع والعِلْم، وأمّا في سورة (الأعراف)؛ فقد اختُتمت الآية بعبارة: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٠٠﴾ [الأعراف: 200] دون هذا النَّوع من التَّأكيد البليغ؛ لأنَّ السّياق هناك يختلف؛ إذ لا يتطلَّب هذا التَّوكيدَ المبالغَ فيه، وجاءت الصّيغةُ فيها وفقًا للقياس البلاغيِّ؛ إذ تمَّ التَّعريفُ بالله في الخبر دونَ الحاجة للزُّخرف البلاغيِّ المُضاف في (فُصّلت)[1].

تفرُّد صفاتِ الله بنفي الحياة عن الأصنام إلى تأكيد اختصاص السَّمع والعِلْم به وحدَه

في سورة (الأعراف) وصْفُ آلهةِ المشركين بأنَّها تماثيلُ جامدةٌ لا تملك قدرةً على الخَلْق أو السَّمع، فكانت الآيةُ تعبيرًا عن نفي أيِّ صفةٍ حيَّةٍ عن تلك الأصنام فنكَّرَهما؛ لأنَّه لم يتقدَّمه ما يوهِم صلاحيَّةَ شيء من السَّمع والعلم لغيره تعالى ممّا عبدوه من دونه، فلا مُسوِّغ للتَّعريف والتَّوكيد[2].

أمّا في آية سورة (فُصّلت): ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، فقد جاءت العبارةُ في سياق الرَّدِّ على الذين جحدوا عِلْمَ الله، وزعموا أنَّه لا يُدْرِكُ كثيرًا ممّا يعملون، فجاءت الآيةُ لتقرير الحقيقة المطلقة، مؤكِّدةً أنَّ الله تعالى هو المختصُّ بالعِلْم الكامل والسَّمع الشّامل، ولو قيل: (اللهُ السَّميعُ العليمُ)؛ لكان في ذلك حصرُ الصِّفات بالله وحْدَه، ونفيُها عن غيره، وهو ما لا يتَّفق مع وصف

(1) الكرمانيّ، أسرار التّكرار، ص: 222.
(2) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/ 223.

المخلوقات التي أودعها اللّهُ شيئًا من السَّمع والعِلْم، كالإنس والجِنِّ والملائكة؛ فجاءت هذه الصّياغةُ الحكيمةُ؛ لتُبرزَ كمالَ اللّهِ تعالى في السَّمع والعِلْم[1].

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

النَّزغ، والهمز، والمَسّ:

النَّزغ: "هو الإغواء بالوسوسة، وأكثر ما يكون عند الغضب، وقيل: أصله للإزعاج بالحركة إلى الشَّرِّ، ويُقال: هذه نزغة من الشَّيطان للخصلة الدّاعية إلى الشَّرِّ"[2].

النَّزغ إغواءُ الشَّيطان بالوسوسة والتَّحرُّك للشَّرِّ، والهمز والمسُّ دون ذلك

أمّا الهمزُ؛ فهو "أن يهمز الإنسانَ بقول قبيح من حيثُ لا يسمع، أو يَحُثَّه، ويوسِّده على أمر قبيح، أي: يُغريه به"[3].

وأمّا المَسُّ؛ فمباشرةُ الجسم بصنوف الأذى الشَّيطانيِّ في خفاء، وهو هنا دونَ النَّزغِ الذي يكون نَخْسًا يحمل على الانبعاث بحميَّة إلى الشَّرِّ، غيرَ مُتروٍّ ولا دارٍ.

العَوذُ واللُّجوء:

اللُّجوء: مُطلقُ قَصْدِ المُعيَّنِ مكانًا كان أم شخصًا؛ لقصد الاحتماء أو قضاءِ وطَرٍ، ثمَّ تُنوسيَ الغرضُ، وأصبح يُطلق على مجرَّد الانضمام أو الإضافة.

اللُّجوء مُطلق قَصْدِ الاحتماء أو قضاءِ وطَر، والعَوذُ واللَّوذُ خاصّان منه

أمّا العَوْذ - ويقال: العياذ، واللَّوذ، ويُقال: اللّياذ - فمنه، غيرَ أنَّ الأوَّل خُصَّ بطلب الكفاية من الضُّرِّ، والوقايةِ من الشَّرِّ، والثّاني بطلب الخير وتحصيل ما يُفيد، فالعَوْذ للرَّهبة، واللَّوذ للرَّغبة.

(1) الهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 9/ 113.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 537.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 537.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"